الميتافزيقيا والتناقض المرجعي لما وراء اللغة عند فيتغنشتاين وأزويزينغ

د.بن مسعود محمد العربي
جامعة الجلفة

يعود ميلاد لفظ ما وراء اللغة métalangage إلى الأدبيات المنطقية المعاصرة كما وضحته **جوزف ري- دبوف** في كتابها اللغة الواصفة[1]، وبخاصة ما يعود إلى مناطقة حلقة فينا من أمثال **كارناب** Carnap و**تارسكي** Traski بين سنة (1931، 1947)، وإذا أردنا الكثير من التدقيق حول هذا المصطلح بتتبع مراحل ظهوره في الكتابات المنطقية المعاصرة، يمكن القول: إن هذا المصطلح ظهر أول ما ظهر باللغة البولونية سنة 1931 تحت لفظ metajezyk ، وفي سنة 1931في اللغة الانجليزية عند **موريس** في كتابه أسس نظرية العلامات، وعند **كارناب** سنة 1943، في كتابه المعنى والضرورة Meaning and necessitay، واستعمله يالمسليف سنة 1943، في كتابه مقدمة في نظرية اللغة ، وظهر بعد حوالي خمسة عشر سنة باللغة الفرنسية في سنة 1960. ليستقر مع بداية النصف الثاني من القرن القرنين في الدراسات اللغوية والأدبية. إلا أن هذا المفهوم رفض من قبل العديد من فلاسفة للغة واللسانين فما هي أسباب رفض هذا المفهوم الفلسفي واللساني؟

1 – ما وراء اللغة و لغة الاستعمال اليومي :

يعدم فيتغنشتاين خاصية ما وراء اللغة من فلسفته الذرية واصفا إياها بأنها فلسفة رديئة وضرب من السفسطة الغير مجدية للتحليل اللغوي المنطقي، ذلك أن ((ما وراء اللغة هي بناء فلسفي – كما رامها فريجه وراسل- وليست لغة ممكنة، إن القيام بذلك غير شرعي ومصدر للغموض، حول طبيعة اللغة في ذاتها وحول العالم))[2]. لهذا كله ينبغي التميز بين ما وراء اللغة والتفكير حول اللغة، فالتفكير حول اللغة ممكن وجوهري، أما ما وراء اللغة فهي ضرب من اللا ممكن المتناقض الذي يدفع بالمعاني إلى دهاليز اللانهاية بوصفها مفارقة للواقع الطبيعي وتمفصلاته المادية.

يبدأ **فيتغنشتاين** برفض دعاوى ما وراء اللغة انطلاقا من إعادة صياغة تخوم التفكير الفلسفي انطلاقا من اللغة ، على اعتبار أن موضوعها يجب أن يحدد المفكر فيه بالنظر إلا ما لا يمكن التفكير فيه، فالمفكر فيه يقدم مجلا واضحا

[1]- Josette Rey- Debove. Le métalangage, éd, Armand colin, Paris, 1997. pp.04,05.
[2]- Michel Meyer, logique, langage, et argumentation, éd Hachette, 1[ème] éd, 1982.p.69.

للخطاب الفلسفي ويبعده عن السفسطة الفلسفية التي هي تعبير عما لا يقال ، فالفلسفة الصحيحة هي ((ألا تقول إلا ما يمكن قوله))[1]. عن أشياء العالم الطبيعي، وما لا يمكن قوله هو قول عن الفلسفة أو فلسفة واصفة لا يمكن الاشتغال عنها بكل الأحوال لأنها خارجة عن حدود العالم أو الواقعة الذرية التي هي ما هنالك في العالم الطبيعي. حيث لا يمكن ((أن يفهم بأن التحدث عن الفلسفة باستعمال لفظ الفلسفة يستوجب وجود فلسفة من درجة أعلى، لكن الأمور ليست على هذا الشكل، بل هي تشبه مسالة الإملاء التي تهم لفظة الإملاء إن هذه اللفظة ليست أعلى درجة من الأولى))[2] . وعليه فليس هنالك تميز بين ما وراء اللغة أو الفلسفة الواصفة الماورائية، لأن مؤداهما يتبوأر حول فكرة وجود "لغة للغة" أو لغة أعلى درجة من الأولى.

ولعل سوء فهم منطق اللغة الطبيعة أدى إلى بروز العديد من الإشكالات الفلسفية التي رامت رسالة فيتغنشتاين مواجهاتها بالرد والدحض، من خلال إعادة رسم حدود اللغة بدمجها مع الواقعي، على اعتبار أن ما يقع خارج هذه اللغة هو من قبيل الميتافيزيقا الخالية من المعاني، فالمثالي المتعالي إن نحن حكمناه لمعرفة المادي نلفيه يعبث به ويجعل منه دبيبا من الأقوال الفلسفية الموغلة في الوهم، لأن الحفر في الأول يتجاوز حدود المسالة اللغوية بوصفه عاملا خارج لساني لطالما دأبت لسانيات دوسوسير على ضرورة مجاوزته وإلغائه تحت معاول التحليل المحايث.

إن حدود اللغة المنطقية في تصور فيتغنشتاين أيضا تساير حركية العالم الطبيعي وتعبر عنها تعبيرا محايثا ، ((فالمنطق يملأ العالم : فحدود العالم أيضا حدوده ، ولذا فنحن لا نستطيع أن نقول في المنطق : إن العالم فيه هذا وهذا ، ولكن ليس فيه ذاك. لأنه من الواضح أن ذلك قد يفترض مقدما أننا نستبعد إمكانات معينة، وهذا لا يمكن أن يكون هو حقيقة الأمر، وإلا لتحتم على المنطق أن يجاوز حدود العالم : أي ، إذا كان في استطاعته أن ينظر إلى هذه الحدود من الجانب الآخر أيضا، إن ما نستطيع أن نفكر فيه ، هو ما لا يمكن أن نفكر فيه: ولذا فنحن لا يمكننا أن نقول ما لا يمكن التفكير فيه))[3]. ومادام المنطق يملأ العالم، فإن من غير المجدي التحدث عن منطق واصف، لأن ما لا يمكن التفكير فيه لا يمكن أن يتموضع في دائرة ما يمكن التكلم عنه، وبمجرد التفكير فيه نتوغل في حركة التصاعد صوب اللاممكن المجهول الذي يصعب علينا العودة إلى الممكن الحقيقي.

ومن ثمة يرى **فيتغنشتاين** أنه ((في البناء المنطقي لا يجوز أن يشار إلى معنى أي علامة واردة فيه، إذ لا بد أن يكون في مستطاعه إقامة البناء المنطقي دون ذكر معنى أي علامة فيه)).[4] من منطلق أن القضية تظهر معناها[5] بذاتها

[1]- لدفيتج فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، تر عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968.ص 163.

[2] -- فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، تر.عبد الرزاق بنور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، لبنان، 2007، ط1، ص.199.

[3] - فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، ص. 138.

[4] - المرجع نفسه، ص.79.

[5] - المرجع نفسه ، ص.93.

دون العودة إلى قضية واصفة أخرى تضطلع بشرحها وتفسيرها ، فان من الواجب إذن التخلي عن فكرة التشارح بين القضايا، لأنه عندما تكون هناك قضية واصفة لقضية أخرى نقع لا محالة في مغبة لانهائية الحدود، ومن ثم ليس بالإمكان متاخمة معناها الحقيقي الذي يمنحنا إياه التجلي المحايث للقضايا ذاتها، مما ينجم عنه عدم فهم منطق لغتنا.

لهذه كله ينبغي الابتعاد عن سك الأسئلة حول القضايا سكا نحويا ودلاليا، لأن ((الفلسفة ليست البتة تأويلا نحويا، بل إنها تستخدم اللغة لاستكشاف مختلف مستويات الترامز المقدمة من قبل الفكر الإنساني وتنسيقها))[1]. إن اكتفاء المنطق على ذاته بوصفها خطابا مغلقا ومتجليا في الآن ذاته يدفع إلى ضرورة الاستغناء عن الدلاليات والنحو. لأن ما يمكن أن يقوله هذان العلمان حول معنى القضايا المنطقية يمكن أن يكون بلا معنى.

وعليه تاليا إذا كان اللامعنى ينبثق من استخدام الخطاب الفلسفي والمنطقي في قول ملا يقال سواء بسواء ، فانه ينبغي للفلسفة أن تصمت عن الرتق بالعبارات الزائفة، فملا ((يستطيع الإنسان أن يعبر عنه، ينبغي له أن يصمت عنه))[2]. فما وراء اللغة ميتافيزيقا ينبغي التخلي عنها لصالح الصمت المطبق على ذاته، لان ((الفلسفة في الحالات كلها تحوج إلى ركيزة اللغة الطبيعية، وليست حقيقية ضمن عوالم رموز كلية تفترض التعالي))[3]. لكن أليس هذا الصمت الفلسفي تهميشا للعمل الفلسفي ذاته مادام لا يقبل بلغة ثانية تكون بمثابة تعليق على القضايا الفلسفية؟ أليس هذا سدا للباب أمام الدلالات الفلسفية المفتوحة وإغلاقه أمام تكوثر الأقوال الفلسفية وإنتاج بعضها من بعض ؟

يبدو أن دعاوى صمت الفلسفة جاء بغية مجابهة ميتافيزيقا الأسئلة الفلسفية العقيمة التي لا نمللك حولها إجابات مستمدة من ((قضايا العلم الطبيعي))[4] ، ومن ثمة تضطلع الفلسفة الحقيقة بالإجابة عن الأسئلة التي يمكن أن تكون لها إجابات تتسم بالتجلي ، وما لا يتجلى لا يمكن التساؤل عنه، وإذا تسألنا عنه يكون سؤلنا خاليا من المعنى، لأنه ((إذا كان من الممكن وضع سؤال على الإطلاق ، فهو مما يمكن أيضا الإجابة عنه))[5]. إن الفلسفة كما رامها فيتغنشتاين لا تترك مجالا للشك وتدعو لحصول اليقين[6] حصولا تاما لا يليه سؤال. لهذا كله نلفيه في مقدمة رسالته المنطقية يصرح باستحالة الشك في صدقها بحكم أنها صحيحة قطعا، وأن الإشكالات الفلسفية قدتم حلها حلا نهائيا. لكن أليس

[1]- voire Granger G Gilles, Remarques sur l'usage de la langue en philosophie In: Langages, 8e année, n°35, 1974. p.24

[2] - فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، ، 163.

[3]- voire Granger G Gilles, Remarques sur l'usage de la langue en philosophie, p.

[4] - فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، ص.163.

[5] - فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، ص **. 162.**

[6] - يشير جيرارد دولدال إلى أن تداوليات فيتغنشتاين هي تداوليات يقين في مقابل تداوليات كار ناب التي هي تداوليات إلزام كما فرضها منطق العلم. ينظر " جيرار دولدال ، الفلسفة الامريكية، تر جورج كتوراة ، الهام الشعراني، 2009، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان . ص. 336.

السؤال الفلسفي حسب فريديريك وايزمان[1] لا يحل بل يتحلل بجعل كلماته من الوضوح بحيث ننعتق من اللعنة التي يصبها على رؤوسنا؟

يشير **فيتغنشتاين** إلى أن قوانين المنطق نفسها لا يمكن أن تخضع إلى قوانين أخرى، وفي هذا تأكيد على عدم إمكان أن تكون الدوال دوالا لدوال أخرى أي لغة واصفة كما يجليها مبدأ إمكان الرد عند **راسل** الذي لا يمت بالصلة إلى المنطق ، كما لا يمكن أن تكون القضايا المنطقية مدعومة بقضايا أخرى توضحها، بكونها متجلية بذاتها، وإن احتكمنا في توضيح قضية ما إلى قضية أخرى نلفيهما يحيلان إلى ما صدق واحد، ومن ثمة ((تنقض إحداهما الأخرى)).[2] وفي هذا رفض لأن تكون هناك قضايا فوق قضايا أخرى أو لغة واصفة قضوية . فالقضية تمتلك معنى واحدا تاما غير قابل للتأويل، فليس ((للقضية إلا تحليل كامل واحد فحسب)).[3] وإذا كانت ((ثمة علامتان احدهما علامة أولية، والأخرى معرفة بعلامات أولية، فلا يمكن لهاتين العلامتين أن تجئ دلالتهما على نحو واحد)).[4] فالعلامة الأولية هي كل ما نحتاجه في التحليل المنطقي، وما عدى ذلك مردود فهو غير ضروري بكونه بلا معنى.

يرى **فيتغنشتاين** أن اهتمام **راسل** بمعاني نسقه الرمزي في نظرية الأنماط أوقعه في مغبة الخطأ؛ لأنه ((كان يتكلم عن الأشياء التي تعينها علاماته))[5] . ومن ثمة انزلق في لا نهائية المعاني الفلسفية انزلاقا تراتبيا متدرجا في شرح القضايا ووصفها بلغات وقضايا أخرى تنحوا إلى مبدأ الكلية والتعميم. ولكن نجد في المقابل بان فلسفة فيتغنشتاين حول انعدام ما وراء اللغةسعت إلى تجفيف منابع اللغة التأويلية، وحاولت إرساء دعائم ثابتة حول اللغة لاستجلاب الوضوح للخطاب الفلسفي، ولكن قد يكون هذا الوضوح مدعاة للصمت عند أولئك((الذين لا يمتلكون شيئا يمكن قوله))[6]. وهذا ذاته لم يصطبر بالرد عنه راسل في مقدمة الرسالة بقوله: ((إن كل لغة كما يقول فيتغنشتاين لها بنية ، لا يمكن الحديث عنها أو التعبير عنها باللغة ، إلا هناك لغة أخرى تتناول اللغة الأولى ، وهي في نفس الوقت لها بنية جديدة، وانه لا يكون هناك حد لتدرج اللغات))[7]. فهناك لغة واصفة للغة ولغة، وللغة للغة واصفة ..إلى ما لانهاية من اللغات التي تفتح الأفق إلى التأويل بترجيع اللغات بعضها إلى بعض.

[1] - فريدريك وايزمان ص 59.
[2] - فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية ، 93.
[3] - المرجع نفسه ، ص 75.
[4] المرجع نفسه، .75.
[5] - فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، ص. 79.
[6] - فريدريك وايزمان، ص 67.
[7] - مقدمة برنارد راسل الرسالة ص. 52.

إن رفض **فيتغنشتاين** وجود لغة واصفة في الرسالة يأتي نتيجة الإقرار بأن اللغة برمتها لغة واحدة محايثة ومكتفية ذاتها بذاتها اكتفاء مصدره التجلي، ولا يمكن أن يعبر عنها باللغة، لان ((ما يعكس نفسه بنفسه لا تستطيع اللغة أن تمثله))[1]. وما دامت اللغة تتجلى بذاتها فإنه ليس بالإمكان وصفها باللغة، لان ما ((يتجلى بنفسه ، لا يمكن وصفه باللفظ))[2]. من هنا يراهن فيتغنشتاين على خاصية التمثيل التي تضفي الوضوح على الوقائع المنطقية، وتكون بذلك ملاذا لفهم المعنى بعيدا عن التأويل والشرح والتفسير ، فاللغة تتكون من علامات أولية ذات معنى بذاتها لا تحوج إلى غيرها لفهمها ، بل تحوج إلى قواعد الاستعمال، لأنه ((لا يمكننا معرفة ما تعنيه الكلمة إلا إذا كنا نعرف قواعد اللعب التي تخضع لها الكلمة في إطار لعبة اللغة)).[3] التي تمنح معنى للموضوعات اللغوية داخل اللعبة ذاتها.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن **فيتغنشتاين**[4] استعمل لفظ التأويل استعمالا يتلاءم مع مصادراته التداولية، فالتأويل ينبغي حسبه أن يفهم بأنه امتثالا لقاعدة ، فكل سلوك يمتثل لقاعدة الاستعمال هو تأويل، فالتأويل يلاءم مفهوم اللعب وما يرتضيه من قواعد تنظمه، وما عاداه يخرج عن دائرته ليولد سوء الفهم عند تقديم تأويل وراء تأويل آخر أو بالأحرى تأويل واصف.

ومن هنا ندرك ذلك الانشغال الذي كان يساور فيتغنشتاين في بناء مشروع فلسفي وهو يعيد النظر فيما ارتآه أستاذه راسل من إمكان تشييد لغة واصفة مصورنة تقضي على الإشكالات الفلسفية التي تنجم عن مرونة اللغة الطبيعية، ومن ثمة نفهم مدى الهوس التداولي الذي شقه على نفسه لرد الادعاءات الصورية عن الفلسفة؛ لأن التفكير الفلسفي ((ليس إذا فعالية عقلية صرفة ، بل هو يشكل جزءا من تاريخينا الطبيعي ، مثل المشي، أو الأكل والشرب واللعب)) [5]. ولهذا يبقى سلطان التداوليات حاضرا في تكوين العلامة الفلسفية وفهمها بالوقوف على إبدالاتها حتى تغدو ملازمة من حيث معناها إلى معاني الحياة من خلال الاستعمال. ولعل هذا الرأي يحاول تجريد الخطاب الفلسفي من مرجعيته الماورائية، من خلال موضعته في حدود العالم الطبيعي الذي يشكل مرجعيتها الوحيدة.

إن كل نظرية فكرية أو تأويل فلسفي من المفروض حسب فيتغنشتاين أن يتحرك في فلك المعيشي ، ويوضع على محك الاستعمال حتى تتبين صلابة معدنه، لهذا يفرض مثل هذا التصور الوقوف على الوظائف التداولية للغة في مقابل الوظائف الصورية الخالصة، ويستكشف تاليا القواعد بوصفها جزءا من الممارسات اليومية للغة القائمة بذاتها، ولهذا كان لزاما على الفلسفة أن تراجع مفاهيمها بوصفها نسقا من الألعاب اللغوية التي ترتهن في صوغها المنهجي إلى التداوليات،

[1] فيتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية، 93.
[2] المرجع نفسه، 93.
[3] - جيرار دولدال، الفلسفة الامريكية، تر جورج كتوراة ، الهام الشعراني، 2009، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان . ص.. 177.
[4] - تحقيقات فلسفية. ص 247.
[5] - جيرار دولدال، الفلسفة الامريكية، ص.177.

فالأفكار الفلسفية ((لا تحظى البتة بمزية أن تكون مصورنة في لغة واصفة منفصلة، بل ينبغي لها كذلك أن تلامس لغتنا يوميا، وتاليا فهي تخضع للحدود نفسها التي في لغتنا العادية))[1] . وعليه فيتغنشتاين يؤول القضايا الفلسفية بوصفها مظهرا من مظاهر لغتنا العادية التي تسعى التي تمثيل الأشياء وتمظهراتها.

ومن هنا يبدو أن فيتغنشتاين جعل من "مفهوم اللعب"أو "اللغة العادية" بديلا نظريا لمفهوم ما وراء اللغةعلى حد تعبيره، ويتم ذلك بتحويل ((الألفاظ من استعمالها الماورائي إلى استعمالها اليومي))[2]. ومن هنا يكون اللعب بعدا خلافيا لاستعمال الوحدات اللسانية، ((فاللعب اللغوي البسيط هو مثلا ما يقوم به البناء مع مساعده. يبني البناء حائطا وعندما يحتاج إلى حجر يقول " حجر" لمساعده الذي يحمل إليه حجرا من ركام من الأحجار. فلا حاجة إلى البحث عما يتجاوز هذا الاشتغال، لا حاجة إلى التفسير)).[3] ولا وجود للغة أخرى غير اللغة العادية، ((فاستعمال اللغة العادية يتعذر تجاوزه أو إغفاله : لا وجود لميتالغة "لغة واصفة" نهائية بإمكانها رصده))[4]. وفي هذه الحالة تتحول الفلسفة من خطاب الصورنة إلى خطاب الاستعمال، كما لا تكتمل دلالتها ما لم تراع شروط التواصل التي تتجاوز جوانية العلامة وشكلها المغلق إلى البحث في إبدالاتها المتغيرة بين شركاء التواصل.

لقد خصص **فيتغنشتاين** خطاب حول ألعاب اللغة لبسط أسس جديدة للتفكير الفلسفي الذي سيسمح بالفصل بين الميتافيزيقا والحقيقة، انطلاقا من مصادرة تؤكد على أنه "لا لغة إلا اللغة اليومية". ذلك أن ((محاولة وصف بنية اللغة– في مقابل عرضها في الاستعمال– قمينة بأن تفضي إلى هراء))[5] . لأنه عند محاولة تفصيل القول في الجوانب التركيبية والدلالية للقضايا لا يمكن أن ننفصل عن اللغة العادية التي تروم التركيز على الوظائف اللغوية واستعمالها، ولهذا يقول فيتغنشتاين:((عندما أتحدث عن اللغة (لفظة ،قضية)، لا بد أن أتحدث عن اللغة اليومية ، فهل هذه اللغة فضة مادية إلى درجة ، أنها لا تسمح بالحديث عما نريده؟ لكن كيف سنصنع لغة أخرى ؟ أليس من الغرابة أن نتمكن رغم ذلك من فعل أي شيء؟))[6]. ومن هنا فإن التوسع التي تشهده اللغة العادية ومرونتها في التعبير ليس أقل درجة من البحث عن إقامة لغة واصفة خالصة غير ممكنة، وبخاصة أن إدراك الشروط الفعلية لإنتاج الأقوال الكلامية هو الذي سيؤدي إلى معرفة المعنى.

[1]- Merril B. Hintikka et Jaakko Hintikka, Investigations sur Wittgenstein, p.43.

[2] - فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، ص.199.

[3] - سليفان أورو، فلسفة اللغة، تر عبد الحميد جحفة، دار الكتاب الجديد، 2010، بيروت لبنان، ص. 96.

[4] - سليفان أورو، فلسفة اللغة، ص. 124.

[5] -أي جي مور ، تاريخ الوضعية المنطقية .ص. 44.

[6] - تحقيقات فلسفية. ص.198.

Mokarabat

لهذا لا يفرض مثل هذا التحليل الوقوف على الخصائص السيمائية للخطاب الفلسفي بوصفه نسقا من العلامات اللسانية، ((فليست هناك فلسفة بدون تعبير لساني)) .[1] ولا سيما أنها ليس بإمكانها تجاوز الحيز القاتم لرمزية اللغة الطبيعية ،لان وحدات الخطاب الفلسفي في حد ذاتها تتكون من وحدات معينة حسب قواعد اللغة ، وتاليا تدل سلفا بحسب الاستخدام العادي . إن العلامة الفلسفية هي كوكبة من الملفوظات اللسانية الحاملة للدلالة معينة ، ومن هنا فمن واجب الفلسفة أن تتراحم في نصوصها العلامة الفلسفية والعلامة اللسانية.

وكخلاصة في الأخير، يظهر أن فيتغنشتاين يرفض كل تحليل للغة يضع نفسه خارج ما تمظهره تلك اللغة؛ لأنها تنماز بالكمال الذي يجعل منها نسقا مغلقا على ذاتها، ولا يمكن تصور حالة تكون فيها اللغة واصفة للغة من منطلق أنها تتوافر على إمكانات وجودها الدلالية والتركيبية قبليا، ومن هنا ليس هناك مبرر منهجي يدعو إلى استدعائها بوصفها لغة واصفة بعديا، ما عدا ما يرتبط بالأبعاد التداولية التي تحدد استعمال تلك اللغة، ومن ثم نلفيه يناهض اللغة الميتافيزيقية بوصفها لغة صورية مجردة بعيدة عن التداول ، ويستبدلها بلغة واصفة لفعل الكلام تتحدد سيرورته في صدر الخطابات اليومية، لان حق المتكلم محفوظ سلفا بان يراجع خطابه إن تأكيدا وإن تفسيرا وإن شرحا في إطار لعبة الكلام.

وعلية تاليا حسب المطارحات السابقة يمكننا تعريف ما وراء اللغة حسب فيتغنشتاين، بأنها : استعمالات لغوية واصفة محايثة لفعل الكلام"، لان الكلام على الكلام في إطار الكلام أمر مقبول، أما الكلام عن الكلام بما هو خارج عن الكلام أمر مرفوض. ومن هنا يمكننا القول إن رأي فيتغنشتاين يستجمع في رأي واحد رأيين يقفان على طرفي النقيض في الأدبيات اللسانية المعاصرة، وهما ما يعرفان بالاتجاه النسقي والسياقي، ذلك انه بتأكيده على البعد المحايث في وصف اللغة ودراستها من خلال التركيز عليها دون المتعاليات الخارج لسانية يكون نسقيا، وبتأكيده على أفعال الكلام وتداولها في إطار لعبة الكلام ينفتح عن الوقائع الخارج لسانية. فمن حيث المنهج ينبغي أن نلتزم حسبه بالبعد المحايث وحسب، أما من حيث الموضوع فينبغي أن نفتح على مجمل السياقات التداولية المحددة لاستعمال اللغة.

2- أري أزويزينغ: ما وراء اللغة والتناقض المرجعي

يرى **أرى أزويزينغ** أن ما وراء اللغةأسطورة سيميائية لا يدعمها الواقع التجريبي في كل الأحوال، ولعل هذا يعود إلى كون أن ما وراء اللغةتحتوى على مجموعة من التناقضات المرجعية، ذلك انه إذا كانت ما وراء اللغةعبارة عن نسق سيميائي مغلق وذاتي، فإنها تتضمن جزئيا لغة أخرى تحيل إلى العالم الخارجي، مما يدعو إلى الإقرار بان ما وراء اللغةأصلا غير موجودة على الرغم من الأسباب الوجيهة التي تجعل منها موجودة. ذلك أن ((علاقة البنى اللسانية بالعالم

[1] - voire Granger G Gilles, Remarques sur l'usage de la langue en philosophie In: Langages, 8e année, n°35, 1974. pp. 22-26.

Mokarabat

وبالمرجع ، ينضاف إلى ذلك أهميتها الجوهرية في النظرية العامة للعلامات والأشكال، اعتقد أنها تشكل حجر عثرة أمام مفهوم اللغة الواصفة))[1]. ومن ثم ((مادامت اللغة الواصفة لغة ينبغي ضرورة تقطيعها ومفصلتها إلى عوالمهما المرجعية، بمعنى إحالتها إلى لغة أخرى. بيد أن هذا لا يتم بنيته في جوهرها وبذاتها سلفا ، وتاليا تكون لغة عبثية ومتناقضة))[2]. ومن ثمة ليس هناك لغة واصفة مستقلة وإنما لغة موضوع لا تحيل إلى طبيعتها بكونها مرسلة تحتوى سننا يمثل في ذاته لغة واصفة.

وانطلاقا من هذا يرى **أرى أزويزينغ**[3] أنه بغض النظر عن الاعتبارات اللسانية الخالصة، تبقى حالة ما وراء اللغةمستحيلة؛ لان هناك تخصيص لخصائص اللغة التي تستنبط من ذاتها، ومن ثمة في إحالتها إلى ذاتها تفقد خاصيتها الواصفة وتضمحل في الماضي الغير قابل للاسترجاع إلى حد أن تكون ما وراء اللغةعبارة عن أسطورة.

كما أن دعاوى إقامة نسق سيميائي منطقي معلل من خلال مفهوم اللغة الطبيعية ليس إلا وظيفية تمثيل القضايا من خلال اللغة الطبيعية التي تبقى غير قادرة على أداء ذلك، مما يتطلب إقامة نسق منطقي كامل غير متناقض يكون عبارة عن لغة واصفة متميزة. إلا أن هذا يبقى مجرد طموح نظري لعدم توافر إمكان تخلصها من اللغة الطبيعية التي مهما كان طريقة استعمالها تبقى مثيرة للشكوك حول مدى قدرتها وفاعليتها في وصف الأنساق الأخرى وذاتها في الآن ذاته.

وانطلاقا من هذه المتصورات تظهر أسطورة ما وراء اللغةقائمة على امبريالية اللسانيات حول السيميائيات بعامة حسب **أرى أزويزينغ** [4]، ولاسيما أن تحليل الأنساق غير اللسانية في إطار النسق اللساني، يستلزم استلزاما ضروريا توافر القدرة، التي تتيح تأويل السيميائيات برمتها في لغة طبيعية، وبخاصة أن انه عندما يتم تنظيم لغة واصفة كلية تبقى مجرد فكرة لائحة في الأفق، على الرغم من توافر إمكان الشرح، ومن ثمة لا يمكن أن تتحقق عملية تأويل كاملة لكل المقولات السيميائية.

ولعل مصدر الامبريالية اللسانية يتأتى من كونه رائدا لكل السيميائيات، وذلك يظهر في تحديد المدلول ضمن الجبر السوسيري، الذي يقترب إلى حد كبير من الدعاوى المنطقية حول الملفوظات اللسانية المستعملة، ذلك أن المدلول عند دوسوسير يبقى جامدا في علاقته مع الدال في موضع معين ولحظة معلومة معطاة، إذ يتم تحديد هذا الموضع داخل لعبة النسق، إنها إذن تحديد للمدلول الذي يوفر إمكان تأويل في كل لغة واصفة. ولعل هذا يؤدى إلى افتراض تعريف

[1] - Uri Eisenzweig, Métalangage : les paradoxes de la reference, In: Littérature, N°27, 1977. Métalangages. P.106.
[2]- Ibid, p. 106.
[3]- ibid,p.107.
[4]- Uri Eisenzweig, Métalangage : les paradoxes de la reference,p.109

صوري للغة الواصفة بوصفها جبرا، ومن ثم تتقوض صيغة يالمسليف التي تعرف ما وراء اللغةبوصفها لغة غير مناسبة لمستوى المحتوى الذي هو في حد ذاته لغة.

إن الصورنة الجبرية التي تحيل على افتراض لغة واصفة واحدة عند دوسوسير ، يمثل حسب **أرى أزويزينغ**[1] قنبلة تقوض أسس العلامة من خلال التناقض المنطقي الذي تبين عنه، وبخاصة عند العودة إلى مفهوم العلامة لدى **جاك دريدا** الذي يناقض وجود الدال من خلال نقد التميز بين الدال والمدلول الذي يتيح حق إمكان التفكير في المدلول ذاته، ضمن وجوده البسيط مع التفكير، في استقلاله عن اللغة، ولعل جاك دوريدا انتقد مفهوم العلامة عند دو سوسير من خلال ارتكازه على مفهوم العلامة عند بورس.

يعرف بورس العلامة بقوله، (("العلامة أو **الممثل** هو الأولانية الذي ينوب عن الثانيانية الذي يسمى **الموضوع**. والممثل يحدد الثالثانية الذي يدعى **المؤول**، وهذه هي العلاقة الثلاثية الأصيلة (...) وأي شيء يحدد شيئا آخر هو (مؤوله)، بحيث إن المؤول يحيل على موضوع، وهذا الموضوع يحيل بدوره على موضوع آخر بنفس الطريقة ؛ أي أن المؤول أصبح هو نفسه علامة وهكذا إلى ما لا نهاية))[2].

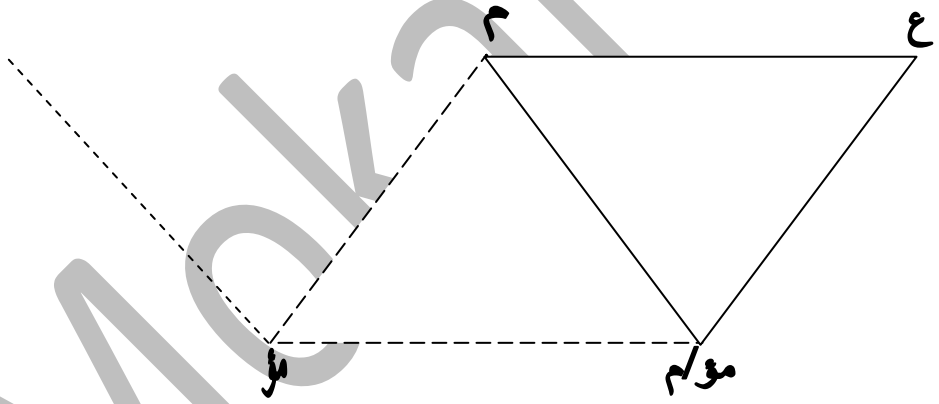

ع = علامة ، م = موضوع ، مؤ = مؤول

وعليه تتلخص وجهة نظر بورس في كون أن الدلالة عبارة عن سلسلة غير متناهية من الدلالات المفتوحة، التي تتمظهر من خلال علامة تستدعى علامة أخرى استدعاء ضروريا في علاقتها مع موضوعها، فالدلالة ترتكن إلى العلامة

[1] - Uri Eisenzweig, Métalangage : les paradoxes de la reference, p. 109.
[2] - Uri Eisenzweig, Métalangage : les paradoxes de la reference, p 109.

Mokrabat

في علاقتها مع مرجعها، حيث يعود الفضل في انفتاحها الدلالي إلى الاختلاف الموجود بين ارتباط كل علامة مع مؤولها في موقف ما. إن هوية العلامة ودلالتها تتأتى من حركة مدلولها المستمرة والغير متناهية في أسيقة مختلفة.

ومتى علمنا هذا حسب **أرى أزويزينغ**[1] علمنا أن ما وراء اللغةحسب يالمسليف لا يمكن أن تكون مندمجة في نسق بورس، لأن المحتوى غير موجود إطلاقا، لكن ما وراء اللغةمندمجة سلفا في مخطط بورس، لان تعريف العلامة يستدعى ضرورة علامة واصفة metasigne ومؤولها، وعليه يمكن أن يكون كل شيء لغة واصفة، وعليه تاليا لا يوجد شيء كما هو.

وبعد هذا كله، لم يكن الاستخدام الأسطوري للغة الواصفة مجرد ضرورة مطلقة تفترض وجود نسق ما، يمثل لغة الواصفة تمتلك أسباب مقنعة حول وجودها، على الرغم من عدم وجودها أصلا حسب مارتآه **أرى أزويزينغ**[2].

[1] ibid, p. 111.
[2]- ibid., p. 111.

Mokarabat